سلسلة حضارتنا المصرية المعجزة

٢

اللغزُ الذِي حيَّر العُلَماءَ والمُؤرِخين

محمد يونس هاشم

جرافيك/يوسف محمد حسين

دار نوبل للنشر والتزيع

سلسلة

سلسلة حضارتنا المصرية المعجزة

اسم المؤلف	هاشم ، محمد يونس
اسم الكتاب	سلسلة حضارتنا المصريةالمعجزة
الجـرافيـك	يوسف محمد حسين
دار النشـــر	دار نوبل للنشر والتوزيع
	ت : ٠١٢٠٣٢٠٩٠٥ - ٠١١٥٩٦٠٥٠٧١

فهرسة أثناء العمل

رقم الإيداع	١٥٦٠٩
العنـــوان	٩٠٠
الصفحـات	١٦ ص - ٢٤ x ٢٤ سم

اللغزُ الذي حيَّر العُلَماءَ والمؤرِخين

فِي مَسَاءِ اَلْجُمّعَةِ وعَلَىٰ كُبْرِي قَصْرِ النِّيلِ كَانَ اللِّقَاءُ .

- د. سَلِيمُ : هَلْ تَعْلَمُ لِماذَا جَعَلَ وَالِدُكَ اللِّقَاءَ عَلَىٰ كُبْرِي قَصْرِ النِّيلِ ؟

- د. سَيدُ مُبْتَسمًا : مُنْذُ أَنْ أَشْرَفَ وَالِدِي عَلَىٰ إِصْلَاحِ وَافْتِتَاحِ الْكُبْرِي عَام ١٩٣٣ وَهُو حَرِيصٌ عَلَىٰ زِيَارَتِه بَينَ اَلْحِينَ وَالآخَرَ .

- وَأَينَ وَالِدُكَ ؟

- إِنّهُ يَعْتَذِرُ لَكَ فَقَدْ اتَّصَلَ بِهِ مُحَمْدُ بَاشَا مَحْمُودِ وَذَهَبَ إِلِيهِ لأَمْرِ مُهم.

- هَلْ سَيشَكِّلُ مُحمدُ بَاشَا مَحمودِ اَلْوزَارَةَ الْجَدِيدَةَ وَيَخْتَارُ وَالِدَكَ وَزِيراً كَمَا حَدَثَ قَبْل؟

- لَا أَظُنُّ .

- وَالــدُكَ وَزِيرٌ فَنِّيٌّ لَا حِــزْبِيٌّ وَيَكْفِيهِ مَا أَنْجَــزه فَفِي عَهْده تمَّتْ تَعْلِيّةُ خزَّان أُسْوَانَ ، وَإِقَامَةُ كُورنِيشِ الْإِسْكَنْدَرِيةِ و...

- وَافتُتــحَ فِي عَهْــده الْإِذَاعَةُ الْمصرِيّةُ ، وشَرِكَةُ مــصرَ للطيرَانِ كَمَا تَمَّ فِي عَهْــدِه عمــلُ اتْفَاقِيةِ مِيــاهِ النّيلِ وَحِصَّةِ مــصرَ فِيهَا ٥٩ مِلْيَار مِتْر .



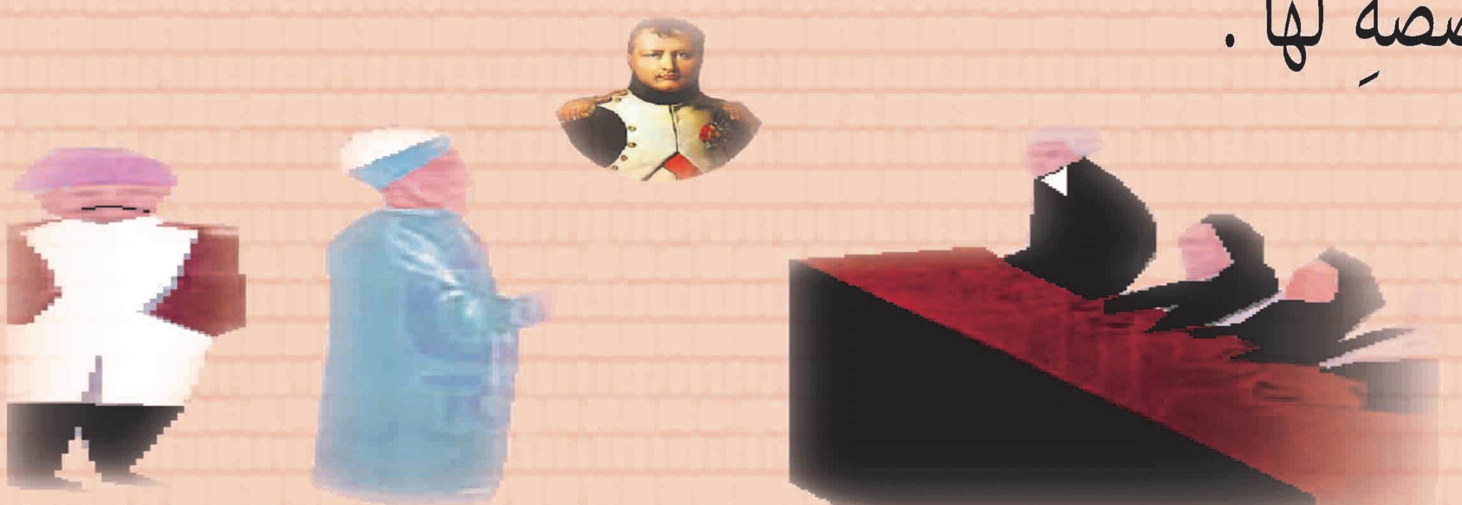
- أَبُـوكَ رَجُـلٌ عَظِيمٌ وَهُو خَـيّرٌ خَلَفٍ لِخَيّرِ سَـلَفٍ ؛فَهُـو حَفِيدُ الْمنَاضِـلِ سَـيدَ كَرِيمَ الذّي حَكَـمَ عَلِيـهِ نَابلْيـون بُونَابَرت مَعَ أَخِيـهِ مُحَمْد كَرِيـمَ بِالإعْـدَامِ فِي ثَوّرَةِ اَلْإِسْـكَنْدَرِيّةِ وَسُـجِنَا فِي الْقَلْعَـةِ وَأُعْـدِمَ مُحمـدُ كَرِيـمَ أمّا سَـيد كَرِيـمَ فَقَـدْ هَرّبَهُ السَّجَّانُون .

- قَـالَ د. سَـيدُ مَازِحاً : وَهَلْ تَرَكْـتَ يَا دُكْتُورُ سَـلِيمُ تَارِيخَ مصرَ الْقَديمِ وَبَدأْتَ تُدرِّسُ تَاريخَ مصْرَ الْحَديثِ ؟

- أَنَسِـيتُ أَنّ وَالِدَكَ أُسْـتَاذِي وَصَدِيقِي ، وَلَقَدْ حَـكَىٰ لِيّ كَثِيراً عَنْ جدِهِ سَيد كَرِيمَ الذِّي سَمَّاكَ عَلَىٰ اِسْمِهِ .

- دَعْـكَ الْآنَ مِـنْ التّارِيخِ الْحَديـثِ ، ولَنُكْمّلْ حَدِيثَنا عَـنْ أَلْغَازِ الْحَضَارِةِ الْمصريّةِ الْقَديمةِ .

- أَنَا أَعْتَقِدُ أَنّ الْحَاجة وَسُنَّةَ الرُّقِي وَالْبِيئة كَانَتْ الدَّافعُ الْأَكبرُ للتّطوّرِ الّذِي نَجدُهُ سَائِراً نحو الْكَمَالِ فِي الْحَيَاةِ الْمصريّة الْعِلْمِيّةِ وَالْعمليّةِ عَلَىٰ السَّواءِ . فَنَشاهِد أَنّ مَا كَانَت تَحتاجُ إِلِيهِ الْبلادُ مِنْ أَعْمالِ الرّيِّ الْعَظِيمةِ وَإِقَامة الْمبَانِي الضَّخْمَةِ كَالأَهْرَامِ وَالْمسَلَاتِ وَالْمعَابدِ وَقطع التّماثيلِ الْهائلةِ، كُلُّ هَٰذَا كَانَ يَتطَلَّبُ تعمُّقاً فِي الْمسَائِلِ الْميكَانِيكِيةِ الْعلميّةِ ، وَالْهندسيّةِ التّطبِيقِيّةِ ، ممّا كَانَ لَازماً لنقَلِ الْأَثقَالِ ، وَإِقَامتها فِي أَمَاكِنِها الْمخَصصةِ لَهَا .



هَـٰـذَا إِلَىٰ أَنّ التَّفَنُّـــنَ فِي صِنَاعَـــةِ الْمعَـــادِنِ ، وَعَمــلَ الْفُخَارِ ، وَالزُّجَــاجِ الْملــونِ ، وَالْقَاشَــانِي قَدْ كَشَــفَ لِلْمصرِيِّ عَــنْ خَوَاصِ الْأَشْــياءِ الطَّبِيعيــةِ وَالْكِيمائِيةِ مــمَّا جَعلَهُ يَنْفَردُ عَــنْ بَاقِي الْعَالَم بالنُّبُوغِ فِي الْعلمِ الذِّي اشْــتَقَّ اسـمُه مِنْ كَلمةِ (كَمــي) الْمصْرِيّةِ، وَذَٰلك كَانَ الْمصريُّ أولَ مَن حَنَّطَ الأَجْسَامَ وَعَرفَ تَشْرِيحهَا.

- وَأَنَــا لَا أَعْتَقدُ أَنّ الْحاجَــةَ وَالرّغْبَةَ فِي التَّطَوُّرِ هِــيَ التّي دَفَعَتْ الْمــصريَّ الْقَدِيمَ لِإبْدَاعِ هَـٰـذِهِ الْعُلومِ وَالْفُنُــونِ ، يَا دُكتورُ أَلِيسَ عَجِيبــاً أَنْ تَبدأَ الْحَضَارةُ الْمصرِيّــةُ الْقَدِيمةُ مُكْتَملــةً مُتطوّرَةً وَلَمْ تَمرّ بِمَرَاحِلِ النُّشوءِ وَالْارْتِقَاءِ وَالتّطوّرِ كَسَائِرِ الْحضَارَاتِ الْأُخرَىٰ؟

وَالْمصرِيُــون الْقُدمَاء كَمَا تَعْلــمُ قَدْ اِعْترَفُوا أَنْ مَــا وَصَلُوا إِلِيهِ مِنْ عُلُومِ وَمَعارفِ إِنَمَا هِي مِنْ تَعَالِيمِ السَّمَاءِ ، وَالْكُتبِ الْمقدَّسَةِ.

- لَقَــدْ نَســبَ الْمــصريُّ الْقَديــمُ كُلَّ مَا وَصَــلَ إِلِيهِ مِــنْ عُلومِ وَمَعَارفِ إِلَىٰ الإلَــٰهِ تَحــوت (إلــٰهُ الْقَمرِ) وبخاصةِ عُلُومُ الْفَلَكِ وَالْحســابِ والطَــبِ ، وَلَا غَرَابَةً فَــإِنَّ الْكَهنة كَمَا يُقــالُ كَانُوا هُم الْطائفــةُ المتعلِّمــةُ فِي الْبلَادِ مُنْــذُ فَجرِ التَّارِيخِ، وَقَــدْ بَقُوا كَذٰلك طِــوَال التَّارِيخِ الْمصرِيِّ ، فَكَانُوا يَنْســبُون كُل مَــا هُو مُشرَّف وَكُل مَــا هُو عَظِيــمٌ لآلهتِهم ، وَلَــٰكن كُل ذٰلِك كَانَ مِنْ نَسْــجِ خَيالِ هَؤلَاء الطَّائفةِ رَغْم تَبحُّرهُم فِي الْعُلومِ.



- أَنَــا أَخْتَلفُ مَعَك لَــمْ يَكُنْ مِنْ نَسْــجِ خيالِهم إِنّمَا هِــيَ الْحَقِيقَةُ ، فَهَلْ يُعْقَلُ أَنْ يَنْشــئَ قَوْمٌ أَولَ حَضــارةٍ عرَفَها التَّارِيخُ ، حَضــارةٍ معجزةٍ عجزَ الْبَــشَرُ أَنْ يَأَتُــوا بِمِثْلها ثُــمّ يَنْسِــبونها لِغَيرِهــم ؟! أَتَدرِي أَيــنَ تَكْمُّنُ الْمشــكلةُ يا دكتورُ سَــلِيمُ ؟ إِنَّهــا تكْمُنُ في أَنَّنــا تركْنَا الْأَجَانِــبَ الْغرباءَ عَنْ دِيننا وَعادَاتنا وَتَقالِيدنا يُتَرْجِمُون لَنَا نُصُوصَ الْكِتَابَةِ الْهيرُوغلِيفيةِ.

- لَا يَنْبَغِــي أَنْ نُنكــرَ فَضــلَ هَــؤلاء الْعُلَماءِ عَــلَىٰ الْحضَــارَةِ الْمصريّةِ الْقَدِيمَــةِ فَهُــم الذّين اِكْتَشَــفُوا حَجرَ رَشِــيدِ وفَكُّــوا رُمُــوزه ، لَقَدْ ظَلَّ شَــامبلِيون نَحْــو عِشْرِيــن عَامــاً حَتَّــىٰ تَمكَّــنَ مِــنْ مَعرفَــةِ الْخطِ الْهيروغليفِــي وَتَرجمةِ كَثيرٍ مِــنْ النّصُوصِ المصريّةِ الْقَدِيمَــةِ ، كَمَا لا يُمْكنُ أَنْ نُنْكرَ فَضْلَ اَلْأُسْتَاذ " هِنَرِي بِرسْتِد" الذِّي جَمَعَ كُل المتُونِ التَّاريخيَّةِ

شامبليون



برستد



أحمد كنال باشا



وَاَسْتخلص مِنْهَا تَارِيخاً لمِصرَ يُعْتَبرُ رَغْم قِدمِهِ مِنْ أَكْبرِ الْمراجعِ فِي التَّارِيخ المصريِّ الْقَدِيم للْاحْتلالِ الْفَارِسِّي ، أمَّا الْمصريُون فَلَمْ يَقُومُوا بِدِرَاسةِ لُغةِ بِلَادِهمْ وَآثَارِهم إِلَا مُنْذُ عَهْدٍ قَرِيبٍ وَعَلَىٰ رَأسِهم أَحْمَد كَمَال بَاشَا .

- أَنَا لَا أُنْكر فَضْلَ هَؤلاء فِي الْحَفْرِ وَالتَّنقِيبِ وَالْبَحْثِ وَالتَّرجمةِ ، وَلَٰكن الْمشكَلة فِينَا نَحْنُ الذِّين سِرْنَا عَلَىٰ نَهْجِهم وَاَكْتَفَينا بِتَرْجَمة كُتبهم وَتَبَنِينَا أَفْكَارَهم وَتَصوراتِهم عَنْ الحضارةِ المصريةِ القديمةِ ، وَكَانَ أَجْدرُ بِنَا نَحْنُ - المصريين - أَحْفَادُ المصرِيين الْقُدماءِ أَنْ نَفهمَ عَنْ أَجْدَادِنا مَا لَمْ يَسْتَطَعْ فَهمَهِ غيرُنَا .

- كَلَامُـك جَمِيلٌ وَأَنَـا مِنْ جِهَتِي أَجْتَهِـدُ فِي التَّنقِيبِ وَالْبَحـثِ وَالتَّرجمةِ والتَّأليـفِ ، والْبركةِ فِيـك ، وَقَدْ تعلَّمْت قِـرَاءةَ الْكتابـةِ الْهيروغليفيةِ أَنْ تُفسرَ فَمَا عجزْنَا نحْنُ عَنْ تَفْسِيرِه !!

- إِنّ مَـا يُؤْخذُ عَـلَىٰ الْمؤرخِين المصرِيـين حَقّاً هُو تَسْـلِيمهم بالنَّظرياتِ الْأَجْنبيَّـةِ فِي نَشـأةِ عَقِيدةِ الْبَعـثِ وَالْخُلودِ وغَضِّهم الطَّـرْف عمَّا جَاءَ فِي الْكُتب السَّماويّة مِنْ عَقَائِدَ دِينيَّةٍ .

- يَا سَـيدُ إِنّ عُلَـمَاءَ الدّينِ : مُسْـلمِين ، وَمسـيحِيين ، وَيهـودَ يَكادُون يَجمعُون عَـلَىٰ أَنَّ الْفرَاعِنَةَ كَانُـوا وَثَنِيين مَتأَلِهين طُغَـاة ، أَلَا تَقرَأُ الْقرآنَ الْكريـمَ إِنّ جَميـعَ مَا ذكرَ الْقُـرآنُ الكريمُ الـذِّي نُؤمِن بِـه ، وَالإِنجيلُ والتّوراةُ التّي يُؤَمنُ بِها الْغَربُ تُؤكّدُ هَـٰذا.



. يَقُولُ تَعَالىٰ :

{إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ}

[القصص:٨]

{وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ}

[القصص:٣٨]

{فَحَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى}

[النَّازعات:٢٣ ، ٢٤]

وفِي التّوراةِ نُصُوصٌ كَثيرةٌ بِنَفسِ هَـٰذا الْمَعَنى .



- أنَا لَسْــتُ عَالِــماً فِي الدِّين وَلَــكِني أَعْتَقِــدُ أَنّ الْكُتِبَ المقدَّســةَ تَتحــدثُ عَنْ شَــخصِ وَاحدِ هُو فَرعــون مصرَ زَمن نَبــيّ الله مُوسَىٰ عليه السَّلامُ .

- عَلَيــكَ أَنْ تُبَرّهِــنَ يَا سَــيدُ عَلَىٰ مَا تَقُــولُ أَثَرِياً وَلَيــسَ دِينيّاً فَقَطْ حَتَــىٰ يَقْتَنــعَ بِكَلَامِــكَ عُلَــمَاءُ المصريــاتِ فِي الْغَــربِ وَالــشَّرقِ ، وَالدَّرَاسَــاتِ المصرِيّةِ للْحَضَــارَةِ الْفُرْعونيّة مَا زَالتْ بكــراً ، أَعَانَكَ اللهُ عَلَىٰ تكْملَةِ الْمشْوَارِ الذِّي بَدأْنَاه فَمَا زَالَ الْعُمرُ أَمَامكَ طَوِيلاً .

- بَارَكَ الله لَنا فِي عُمرِك يَا أُسْــتَاذِي ، وسَــنُكْمِلُ مَعاً الطَّرِيقَ الشَّــاقَ الوَعِــرَ حَتــىٰ نتمكَّن مِنْ فَــكِّ جَمِيــع أَلْغَــازِ الْحَضــارةِ المصريّةِ الْقَدِيمةِ.

- أُسْتَاذِي .. أُسْتَاذِي .. !! أَلا تكُفُّ عَنْ تَرديد هَـٰذه الكَلِمةِ ؟! أَنْتَ أَخِي وَصَدِيقِي يَا سَيدُ ، وَأَنَا سَعَيدُ باهْتِمَامِك بِدرَاسَةِ عِلْم الْمصريّاتِ ، ولَنْ أَبْخَلَ عَلِيكَ بِأَي شَيءٍ أَتَوصَّلُ إِلِيهِ فَالْعِلمُ رَحَمٌ بين أَهلِهِ .

- لَنْ أَكفَّ عَن تَرِديدي هذه الْكَلمةِ ، أَلَسْتَ أَنْتَ الذّي حببّتِني فِي دِرَاسِةِ المصرِيّاتِ وَأَطْلعتنِي عَلَىٰ كل ما توصَّلت إليه فيها ، وأَمْددتنِي بكُل مَا أحتاج إليه في دراستها ؟

- لقد تأخَّرتُ ، ويبدو أن والدك لن يأتي ، بَلّغْهُ تحياتي ، ورغبتي في رؤيته .